ردّ عَلى مقابَسة الدكتور نهاد الموسى

للدكتور إبراهيم السامرائي

أقول: كنت قد ذكرت في مقالتي الموسومة "الآمل والمأمول"، وهي تعليق على هذا الكتاب المنسوب إلى الجاحظ، في ذلك العدد المزدوج (23– 24) من "مجلة" المجمع:

إنه جاء في الصفحة التاسعة قول المؤلف:

والمجد في التماس ما هو أعذر من التجافي عما إن فاته قعد به عن مرتبة أهل الفضل... وقلت:

والوجه أن يقال: "والمجد في التماس... عمّا قَعَدَ به عن مرتبة الفضل....

وقلت: إن تقديم الفعل "قَعَدَ" وهو جواب الشرط متطلّب لأن التقديم يجعل هذا الفعل صدراً لجملة الصلة للموصول "ما". وشرط جملة الصلة أن تكون خبراً لا إنشاءً. وهذا يعني أننا لو أبقينا على نص المؤلف لكانت جملة الصلة إنشاء وهي جملة الشرط "إن فاتَه قَعَد" وهذا ممتنع.

وقد علّق الأخ الأستاذ الدكتور نهاد الموسى، وكأنه أنكر عليّ هذا القول، وهو كون جملة الصلة خبراً لا إنشاءً واستشهد بجملة من الآيات الكريمة ومنها قوله تعالى: "ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدِّه إليك".

أقول: والمراد من الآيات واضح كل الوضوح، والمعنى جليّ لا إبهام فيه ولا غموض، ومجيء هذه الجمل الشرطية معروف، والمعنى: ومنهم مَن يُؤَدِّ القنطار إن تأمنه به. ولكننا في جملة المؤلف لا نقف على هذا الوضوح الذي نلمسه في الآيات الكريمة. ومن أجل ذلك لم يكن ورود هذا الأسلوب في هذه الآيات مناقضاً

للقاعدة النحوية وهي مجيء جملة الصلة خبرية لا إنشاءً فلا يصح أن يقال: جاء الذي اضربْه (فعل أمر)، أو جاء الذي لا تضربْه (مضارع مسبوق بلا الناهية) وكذلك سائر أنواع الطلب.

ولـيس للناقد الكريمـة أن يَرُد هـذه القاعـدة. ولعلـي أوجـزت فـي تعليقـي فـي مقالتي المشار إليها على هذه المسألة، فتمسك الناقد بجزء مما ذهبت إليه.

أعود فأوجز ثانية: إن ما ورد في الآيات ليس نظيراً لهذا الذي جاء في جملة المؤلف التـي افتقرت إلـى الوضـوح والبيـان، وكـان علـيّ أن أطيـل قلـيلاً فـي بسـط المسألة لأكفي الأخ مؤونة التعليق.

د. إبراهيم السامرائي